(٧) الحاكمة

- مرحباً بك يا سيدتي ..

قالها وزير الاسكان وهو ينحني الى الامام نصف انحناءة مستقبلاً السيدة الأولى التى عادت الى مكتبها قائلة بإقتضاب شديد وهى تشير له بالجلوس وتجلس هى مكانها خلف مكتبها الفخم :

- مرحباً .. (ثم أخرجت هاتفها الخلوي وضغطت عدة ازرار به ثم وضعته على أذنها وبعد برهة هتفت للطرف الأخر بنفس اللهجة الآمرة الصارمة).. وزير المالية .. أريدك فى مكتبي حالاً لأمر هام ..

(انهت المكالمة وإلتفت الى وزير الاسكان تسأله فى سرعة)

- ما هي أخبار القصر الخاصبابني ؟ .. ومتى يكون جاهزاً ؟.. خاصة بانه سيعود خلال شهر من رحلته الطويلة بأمريكا وفرنسا..

ظهر الارتباك قليلاً على وجه وزير الاسكان وهو يقول :

- الحقيقة إن العمل يجري على قدم وساق .. ولكن ..

ظهر عليه التردد فهتفت هي فى صرامة :

- ولكن .. ماذا؟

فقال هو :

- مازالت الاعمال الداخلية تحتاج الى وقت أكثرو..

هتفت مقاطعة اياه فى خشونة :

- وقت أكثر .. ماذا يعني هذا ؟ لقد تأخرنا عن الجدول الزمني المحدد لإستلام القصر.. فماذا حدث؟

صاح الوزير فى لهجة أقرب الى الضراعة :

- صدقيني يا سيدتي .. إننى اتابع كل صغيرة وكبيرة فى هذا القصر من مكتبي و..

قاطعته مرة أخرى قائلة فى حسم :

- واضح أن هذا لا يكفي .. (ثم مالت إلى الامام وهى تستطرد فى صرامة عجيبة وبلهجة آمرة مخيفة) .. يجب أن تذهب إلي هناك وتتابع تنفيذ كافة الاعمال الداخلية والخارجية بنفسك .. امامك ثلاثة أسابيع فقط .. وتسلمني القصر كاملاً جاهزاً..

اتسعت عيناه وهو يهتف فى دهشة :

- ثلاثة أسابيع .. ولكن هذا يعني أنني سأقيم هناك ويعني أيضاً ابتعادي عن مهام الوزارة وجدول أعمالها والمتابعات والزيارات الميدانية كل هذه المدة ..

هتفت قائلة فى لامبالاه :

- كل شئ يمكن تأجيله .. المهم أن يكون القصر جاهزاً بعد ثلاثة أسابيع .. (ثم أضافت بصوت يحمل رائحة التهديد) ..وأى عيوب أو اخطاء ستظهر ستكون أنت المسئول أمامي وستدفع الثمن غالياً وقتها..

تطلع اليها للحظات ثم نهض من مكانه وخرج من حجرة مكتبها..

دون أدنى أعتراض ..

وبإستسلام تام ..

أيضاً ..

*****

- مرحباً بك يا سيدتي ..

قالها وزير المالية وهو ينحني الى الامام نصف انحناءة داخل مكتب السيدة الأولى والتى وعلى عكس الباقيين نهضت من مقعدها خلف مكتبها واستقبلته بترحاب شديد قائلاً له وعلى وجهها ابتسامة واسعة :

- مرحباً بوزير المالية .. مرحباً بمنقذي ..

فقال وزير المالية وسط ابتسامة صغيرة :

- وأنا رهن إشارتك يا سيدتي ..

أشارت له بالجلوس وهى تجلس بدورها فى المقعد المقابل له قائلة :

- بالطبع قرأت بنود الموازنة العامة الجديدة للدولة..

أومأ برأسه قائلاً:

- بالطبع يا سيدتي ..

لوحت بيديها قائلة فى حنق بالغ :

- وبالطبع وافقتم جميعكم على بنودها ..

هتف هو وكأنه يحاول التنبيه الى أمر معين :

- بعد موافقة فخامة الرئيس ... نعم .. وافقنا بالاجماع..

نظرت إليه بنظرة خاصة وهى تقول :

- إذن فأنا فى ورطة ..

إبتسم هو ومال إلى الأمام وهو يقول:

- ليست هناك ورطة .. فأنا أعلم ما الذى يزعجك فى هذه الموازنة .. وكالعادة لدي الحل البديل ..

تهللت أساريرها قائلة فى سعادة واضحة :

- أحقا؟... كنت أعلم أنه من المستحيل الاستغناء عنك مهما قام الرئيس بتغيير الحكومات ..(ثم استطردت فى جدية متساءلة) .. ولكن ما هو الحل ؟ .. هل ستقوم بفرض ضرائب جديدة مثلاً ..

قال والابتسامة لا تفارق وجهه:

- فرض ضرائب جديدة سيستغرق وقت كبير للغاية .. ولكن هناك حل سريع وبسيط جداً .. سأقوم غداً بنشر إعلان بجميع الصحف القومية أعلن فيه عن توافر فرص عمل بالحكومة فى كل الوزارات .. ووقتها سيتقدم الملايين من الشباب والرجال والنساء لسحب استمارة التوظيف التى ستكون مقابل مبلغ محدد .. وفي خلال أسبوع على الأكثر سيكون لدينا مبلغ مالي محترم سأضعه رهن إشارتك ..وبالتأكيد سيعوض العجز فى مصروفات القصر الرئاسي..

تأملته فى إعجاب واضح ثم هتفت :

- ولكن هل يوجد لدينا وظائف شاغرة بالفعل؟

أجاب فى بساطة :

- لا .. ولكن من الممكن توفير بعض الوظائف القليلة حتى نكون واقعيين أمام الرأي العام ..

تنهدت قائلة وسط ابتسامة مشرقة ملأت ملامحها:

- لا أعرف كيف أشكرك .. أنت داهية بالفعل ..

قال فى خبث واضح :

- فلتشكريني بصورة عملية ..

سألته :

.هل تريد نسبة من المبلغ الذى سيتم جمعه؟

ضحك قائلاً :

- لا .. لا ..

عادت تسأله :

- ولكن هذا حقك .. فأنت صاحب الفكرة ..

قال هو فى امتنان :

- أشكرك يا سيدتي ..ولكن أريد منك خدمة صغيرة .. .. (ثم استطرد فى جدية ممزوجة ببعض الضيق) ..فرئيس الوزراء مع الأسف وبدون استشارتي قام بتوقيع صفقة لحوم سيتم استيرادها من إحدى دول الجنوب بسعر أرخص كثيراً من اللحوم التى يقوم بإستيردها بعض رجال الاعمال من دول اوروبا .. وهذا يعني بأن الخراب والخسارة ستحل عليهم فى حال إتمام هذه الصفقة ..وأنتي بالتأكيد لا ترضين لهم بذلك ..

قالت فى سرعة :

- حسناً .. أعتبر هذه الصفقة ملغاه .. وسأقنع الرئيس بذلك ..

عادت الإبتسامة على وجهه وهو يقول :

- أشكرك جزيل الشكر يا سيدتي ..

فإرتسمت ابتسامة غامضة خبيثة على وجهها وهي تقول:

- فلتشكرني بصورة عملية ..

اتسعت ابتسامته أكثر وهو يقول:

- كلنا تحت أمر السيدة الأولى..

سألته :

- كم دفعوا لك من أجل إلغاء هذه الصفقة..

قال فى إقتضاب :

- مبلغ محترم ..

قالت فى حسم :

- حسناً .. نصف هذا المبلغ لي..

ظهر التردد على وجهه للحظة واحدة ثم قال مكرراً :

- كلنا تحت أمر السيدة الأولى..

ثم خرج سريعاً من غرفة مكتبها دون إضافة كلمة واحدة ..

أو حتى لمحة إعتراض..

*****

بعد مرور اسبوعان..

بدت ملامح رئيس الوزراء غارقة فى التفكير العميق وهو يجلس فى مكتبه داخل مبنى رئاسة الوزراء فى حين تأمله نائبه قاطباً حاجبيه قائلاً:

- سيدي .. إنك تبدوا منذ فترة مهموماً قلقاً وصامتاً أغلب الاحيان.. فماذا بك؟

نظر إليه رئيس الوزراء فى صمت ثم تنهد وهو يقول وكأنه يحادث نفسه:

- عندما توليت رئاسة الحكومة كانت لدي رغبة قوية فى إصلاح كل ما أفسدته الحكومات السابقة ولكن .. (صمت قليلاً ثم تابع) .. ولكن الفساد مثل الوحش الكاسر لابد من تضافر كافة الجهود لمحوه من حياتنا.. وللأسف أصبحت الأن أشعر بأنني أعمل بمفردي .. معظم الوزراء لا يريدون الإصلاح .. أصبح كل ما يشغل بالهم العمل على ضمان استمرارهم فى مناصبهم مهما كان الثمن .. الفساد أصبح عنوان آدائهم .. اصبح كل همهم هو أن يكون الحاكم راضياً عنهم بصرف النظر عن مدى كفاءتهم فى إدارة شؤون الدولة .. (صمت مرة أخرى ثم أضاف) .. حتى الحاكم نفسه أصبح غير مهتماً بما يجرى من حوله تاركاً كل شئ فى يد زوجته وابنه .. أصبحنا جميعاً نعمل لخدمتهما

وتنفيذ مطالبهما بدلاً من خدمة الشعب الذي بدأت تنتشر داخله الاضطرابات والاعتصامات والمظاهرات من أجل نيل حقوقهم المشروعة فى ظل هذا النظام الفاسد الذى نحيا فيه ..

تمتم نائبه :

- سيدي .. ما تقوله خطير للغاية ..

قال هو فى حزم :

- ما أقوله هو الحقيقة مع الأسف.. لذلك ...

عاد الصمت الى المكان لبرهة قصيرة بعدها نهض رئيس الوزراء من خلف مكتبه وعلى وجهه علامات الحسم وهو يقول فى قوة :

- سأذهب إلى الرئيس .. حالاً ..

فسأله نائبه فى دهشة:

- ماذا تنوي أن تفعل؟

قال رئيس الوزراء فى حزم وهو يلملم الأوراق والتقارير التى تملئ سطح مكتبه ويضعها فى حقيبته الجلدية :

- سأتكلم معه فى كل شئ .. وبصراحة تامة .. و... (ثم استطرد فى حسم بالغ) ..وستكون إستقالتي فى جيبي..

إتسعت عينا نائبه في ذهول:

- إستقالتك ..

لم يرد عليه رئيس الوزراء الذى غادر مكتبه فى سرعة بالغة متجهاً الى هناك ..

إلى القصر..

*****